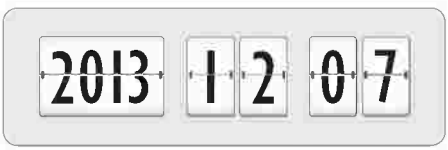

بدأت هيلاري الكلام قائلة: في المرة السابقة أتيت على ذكر توازن القوة بيننا؛ بل وأنا، توازن صاعد نازل مثل المنشار، حصل النزول بعد انتصار بل في عام 1986م الذي غيَّر العلاقة بيننا؛ كان المجلس التشريعي قد أقر مدة أربع سنوات في المنصب بالنسبة إلى حكام الولايات القادمين، بما عنى أن بل لم يكن مؤهلًا للترشح من جديد في 1990م. جرفته الحماسة جرفًا لا يليق بغير بل كلنتون، كان قد هزم منافسه، وبات الآن في المنصب لمدة أربع سنوات، حاصلًا على راتب محترم للمرة الأولى، ومتصرفًا كما لو كان فرعون مصر، لم يعد شاعرًا بأنه بحاجة إلي لإنقاذه، وأوضح أنني لم أعد مرحبًا بي في اجتماعاته الإستراتيجية، فتوقفت عن حضورها. تبخرت الطاقة التي كنت متمتعة بها إبان الوصاية الرودهامية.

غرقت في بحر من الكآبة. غير أن بل كان لايزال بحاجة إلى مساعدتي المالية؛ ففي عام 1991م، كنت أكسب مبلغ (175,000) دولار في السنة من عملي في المؤسسة الحقوقية، مقابل مرتبه السنوي البالغ (35,000) دولار. حافظت على كرامتي الذاتية أيضًا بتولي رئاسة صندوق الدفاع عن الأطفال وعضوية مجالس سلسلة طويلة من المنظمات ذات العلاقة بالعدالة والتعليم،

ومع أن معنوياتي كانت متدهورة لبعض الوقت، فقد كنت على يقين من أن ساعة بقاء بل- ذلك الذي أعرفه جيدًا بحاجة ماسة إلى مساعدتي من جديد- ستدق، إذا أتقنت فن الانتظار بصبر.

كان حصول ذلك أسرع مما توقعت؛ فبعد انتصاره في خريف عام 1986م، راح بل يفكر جديًّا بالترشح لرئاسة الجمهورية، كنت قد حلمت بأن أكون سيدة أولى منذ طفولتي، وعلى الرغم من سخطي على أسلوب تعامله معي، فإنني قررت أن أضع كل ما أملكه من وزن لترجيح كفة احتمال وصولنا إلى البيت الأبيض. جمدتني الدهشة حين قدمني صديقي القديم دون جونز إلى صفِّه الديني بوصفي سيدة الولايات المتحدة الأولى المقبلة؛ «لأن زوجها سيترشح لرئاسة الجمهورية قريبًا». كانت المرة الأولى التي يجري فيها تقديمي إلى الجمهور على هذا النحو، ما أدى إلى تكثيف رغبتي إلى الدرجة التي جعلتني أقرر العمل ليل نهار من أجل الوصول إلى هناك.

طرت إلى نيويورك لزيارة صديقي القديم في لجنة ووترغيت، بيرني نوسباوم، لمفاتحته حول الأمر، طلبت منه ألا يلتزم مع أي مرشح آخر لاحتمال ترشح بل، ضحك وقال إن بل أصغر سنًّا من أن يكون رئيسًا للجمهورية. ابتسمت بدراية وأجبته من يضحك أخيرًا، يضحك جيدًا. كان بل قد عقد مؤتمرًا صحفيًّا لإعلان اعتزامه الترشح للرئاسة. تم إعداد كل شيء لغداء خاص ظهر الخامس عشر من تموز/يوليو في صالة رقص فندق إكسلسيور. ولكن لكِ أن تتصوري زوجي! لن تستطيعي أبدًا أن تقدري ما يمكن أن يقدم عليه في الخطوة التالية.

كان المراسلون ينتظرون تأكيدًا لإعلان بل عن ترشحه، غير أن حساء الغداء برد فيما الجميع بانتظاره، أخيرًا اقتحم صالة الرقص وقال مكشرًا: «لن أكون مرشحًا!». صُدم الجميع؛ غمغم بأشياء عن الصراع بين عقله وقلبه، ما الذي كان يمكن أن يكون قد حصل كي يغير بل قراره في اللحظة الأخيرة بشأن أمر

طالما تاق إليه حياته كلها؟ لغز حقيقي بالنسبة إلى الجميع، ولاسيما بالنسبة إلي أنا.

تحدثت مع بتسي رايت في اليوم التالي؛ كانت كبيرة موظفي البيت الأبيض وشرحت لي المسألة، كانت قد وضعت قائمة شاملة لما يزيد على مئة امرأة ممن كانت له علاقة معهن، ثم ناقشنا حالة كل واحدة منهن وحاولنا معرفة أين تقيم الآن، وما مدى احتمال مبادرتها إلى الحديث العلني عن الأمر. حين انتهت الجلسة، قالت بتسي له إنه غير مؤهل بالمطلق لأن يترشح للرئاسة، وإن من شأنه أن يدمر نفسه إذا كُشف عن سجل علاقاته المشين خارج زواجنا. في البداية قاوم بل؛ احتج قائلًا إن المطلعين على مغامراته ليسوا كثيرين وإنه مصمم على متابعة خطته. صرخت بتسي في وجهه قائلة «إنه سيدمرني كما سيفسد علاقته بتشلسي إلى الأبد»، برأي بتسي ما لبث بل أن رضخ، ثم وعدها بنفض يده من خطط الترشح للرئاسة. ناقش الوضع مع صديقه كارل فاغنر الذي كان رأيه صدى لرأي بتسي على صعيد احتمال تعرض العائلة للانهيار.

من الواضح أن بتسي وكارل أقنعاه، خطا بل إلى المنصة وأعلن بأن من شأن الأمر أن يكون بالغ الصعوبة بالنسبة إلى تشلسي إذا كنا، هو وأنا، على الطريق لمدد طويلة من الزمن، على الرغم من أن الترشح للرئاسة كان حلمًا طالما راوده. عبر عن أسفه لإحباط الجميع، غير أنه كان ملزمًا بالوفاء لعائلته ولمسؤولياته.

صدمت، غضبت، انسحقت. انهمرت الدموع على وجنتيَّ أسرع من أن أتمكن من مسحها وتجفيفها. لم تكن بالفعل أي عيون بلا دموع في البيت، بما في ذلك عينا بل. في تلك الليلة ونحن نائمان متظاهرين؛ ظهرًا لظهر، أجهشنا كلانا بالبكاء الصاخب، مسكونين بالشك حول احتمال تحقق حلمنا الحياتي المشترك المتمثل بشغل البيت الأبيض.